في هذا التحليل التفصيلي ، الذي يقدمه الكتاب ، للموقف من المدينة ، نكتشف قصور المنهج الوصفي الذي يحكم بنية النص النقدي · فهذا الاستعراض السريع لمواقف الشعراء من المدينة ، يفكك المواقف ولا يوحدها · اي لا يكشف في النهاية عن نسق او انساق مختلفة · ثم حين يصل الى الاستنتاج النهائي ، نكتشف ان الموقف من المدينة يصبح موقفا من كل شيء · فهي **وعاء ورمز ووجه** · تصبح دراسة المدينة اطارا لدراسة جملة من المواقف · هنا يطرح السؤال الرئيسي الذي يواجهنا في هذا الكتاب · **لماذا سلسلة المواقف هذه** ؟ والى اين تقود ؟ نستطيع ان نفهم دراسة اثر المدنية في الشعر : العلاقة بين تطور المدينة العربية المعاصرة وتطور القصيدة المعاصرة · انهيار الريف وولادة اشكال شعرية جديدة · التغريب الثقافي والفكري ومسألة المدينة في الشعر المعاصر · طبعا يمكن التوقف هنا عند استثناءات محددة ، حيث يمكن ان تشكل دراسة تجربة حجازي من المدينة والتي كرس لها ديوانه « مدينة بلا قلب » نموذجا لدراسة الاسئلة التي طرحناها والتي لم يطرحها الكتاب · او يمكن ان تشكل قصيدة « قبر من اجل نيويورك » مدخلا لدراسة مجموعة من الاسئلة الاخرى ·

ج ـ الموقف من التراث

ربما كان الموقف من التراث ، احد اكثر اقسام الكتاب اشكالية · فهو يطرح مجموعة من المسائل للنقاش ، ويشير الى اسئلة محددة ، ويتهم احيانا « بموضوعيته » الاكاديمية ، كمثل اشارته الى انتماء بعض الشعراء المحدثين الى الاقليات العرقية والمذهبية والطائفية ؟

ينطلق هذا الفصل من نص للناقد الفرنسي رولان بارت يشير فيه الى الذاكرة الثانية التي تملكها الكلمات · ثم يصنف الناقد الموقف من التراث في اربعة مواقف : التراث الشعبي ، الاقنعة ، المرايا ، التراث الاسطوري · ويقدم انطلاقا من هذا التصنيف مجموعة نماذج مختلفة ، لمواقف الشعراء المعاصرين من التراث · فالتراث الشعبي ، هو جسر يمتد بين الشاعر والناس · والاقنعة ، هي شخصيات تاريخية يختبىء الشاعر خلفها · والمرايا ، هي صورة ذاتية تنعكس عليها الرموز · والتراث الاسطوري ، هو تحويل التاريخ الى لون من الاسطورة لتتم للاسطورة سيطرتها الكاملة ·

السؤال الاساسي الذي يطرحه هذا الفصل هو سؤال منهجي · فكيف يتم الربط بين العناصر « التراثية » المختلفة في التجربة الشعرية المعاصرة ؟ ثم ما هي دلالات هذا الاستخدام المكثف للرموز ؟

يتوقف عباس عند مجموعة من النقاط التي تحاول الاجابة على هذا السؤال ، والتي يمكن وضعها في نسقين :

ـ نسق شعري ، حيث يتكلم عن محاولة الوصول الى الدرامية عبر استخدام الاقنعة التاريخية · رغم ان « رقة الحاجز بين الاصل والقناع تضع هذه الدرامية في ابسط حالاتها » ·

ـ نسق ايديولوجي ، حين يفسر اللجوء الى التراث الاسطوري بالتعبير عن القلق او البعث او العذاب ·

لكن لا وجود للربط بين النسقين · ولا وجود لمحاولة تحديد دقيق للفروق بين التعابير